

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ الْقَادِمَةِ ((فِقْهُ الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا)) د. مُحَمَّدٌ حِرْزٌ بِتَارِيخِ ٢

محرم ١٤٤٨هـ / ١٩ - ٦ - ٢٠٢٦م

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ لِإِرَادَتِهِ، وَدَلَّ كُلَّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَتَوَاضَعَ كُلَّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَانِهِ، وَاسْتَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ النَّزِيلِ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التَّوْبَةُ: ٤٠)، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَوَّلُ بِلَا أِبْتِدَاءٍ، وَآخِرُ بِلَا انْتِهَاءٍ، الْوَتْرُ الصَّمْدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ: الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَرِزْدًا وَبَارِكْ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي أَيُّهَا الْأَخْيَارُ بِتَقْوَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢).

صَلُّوا عَلَى الْمَبْعُوثِ فِينَا رَحْمَةً *** تَكْتَبُ لَكُمْ عَشْرًا لَدَى الرَّحْمَنِ

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى *** مَا ضَجَّتِ الْأَفَاقُ بِالْأَذَانِ

أَيُّهَا السَّادَةُ: ((فِقْهُ الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا)) عُنْوَانُ وَرَارَتِنَا وَعُنْوَانُ خُطْبَتِنَا. عَنَّا صِرُّ الْقَاءِ:

❖ أَوَّلًا: اللَّهُ اللَّهُ فِي الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ!!!

❖ ثَانِيًا: الْهَجْرَةُ مَعْنَى حَيٍّ مُتَجَدِّدٌ.

❖ ثَالِثًا: الْحَدْرُ الْحَدْرُ مِنْ غَشِّ الْأَمْتِحَانَاتِ، عِبَادَ اللَّهِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ: بِدَايَةِ مَا أَحْرَجْنَا فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْمَعْدُودَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ حَدِيثُنَا عَنْ فِقْهِ الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَخَاصَّةً وَالْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا تَحْتَفِلُ بِهَجْرَةِ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ ﷺ، بَلِّغُوا الْهَجْرَةَ الَّتِي كَانَتْ مَفْصَلًا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَنِقْطَةً تَحْوُلُ فِي مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ، وَبِهَا أَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ، وَأَظْهَرَ الْحَقَّ، وَأَدَلَّ الْبَاطِلَ، وَأَنْشَأَ أُمَّةً تَحْمِلُ رِسَالَةَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَخَاصَّةً وَأَنَّ الْهَجْرَةَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي زَمَانِنَا هَذَا لَيْسَتْ هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلَا هِجْرَةَ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ تُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِ صَاحِبِهَا فِي الْأَمْوَاجِ وَالْبِحَارِ الْعَاتِيَةِ، إِنَّمَا هِيَ هِجْرَةُ الرُّوحِ إِلَى لِقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهِجْرَةُ الْقَلْبِ إِلَى مَنْ مَلَكَ الْقُلُوبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهِجْرَةُ النَّفْسِ إِلَى الرَّاحَةِ وَالطَّمَائِنَةِ، وَهِجْرَةُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَالْإِنْفِيَادِ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَخَاصَّةً وَإِنَّ هِجْرَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَاضِيًا يُتْلَى، أَوْ قِصَّةً تُحْكَى، أَوْ مُجَرَّدَ تَسْلِيَةٍ عَابِرَةٍ، أَوْ إِعْجَابًا بَارِدًا يَمُرُّ عَلَى الْقُلُوبِ ثُمَّ يَنْطَفِئُ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَحْوَلَ سِيرَتُهُ ﷺ إِلَى مَنَهِجِ حَيَاةٍ يُعَاشُ، وَإِلَى وَاقِعٍ يُتْرَجَمُ فِي التَّرْبِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، وَأَنْ تُرَبِّيَ عَلَيْهِ الْأَبْنَاءَ وَالنَّبَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ شُعْلَةً تُضِيءُ دَرْبَ الْأُمَّةِ فِي حَاضِرِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا.

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً *** فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ *** فَيَمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا *** فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا *** وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

❖ أَوْلَا: اللهُ اللهُ فِي الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ!!!

أَيُّهَا السَّادَةُ: إِنَّ هَجْرَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَاضِيًا أَبَدًا، أَوْ لِمَجْرَدِ الْقِصَّةِ، أَوْ النَّسْلِيَّةِ، أَوْ لِمَجْرَدِ الْإِعْجَابِ الْبَاهِتِ الْبَارِدِ، أَوْ لِمَجْرَدِ كَانِ يَا مَا كَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ نُحَوِّلَ سِيرَتَهُ ﷺ إِلَى مَنْهَجِ حَيَاةٍ وَإِلَى وَاقِعِ نَحْيَاهُ وَنَرْبِيِّ عَلَيْهِ أَوْلَادَنَا وَبَنَاتِنَا، بَلْ وَنُحَوِّلَهَا إِلَى شُعْلَةٍ تُوقِدُ شُمُوسَ الْحَيَاةِ وَدِمَاءٍ تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِ الْأَجْيَالِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. وَكَيْفَ لَا؟ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَبْعَثْ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَّا لِيَكُونَ فُذْوَةً مُتَجَدِّدَةً عَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ وَالْقُرُونِ، وَإِلَّا لِيَكُونَ مَثَلًا أَعْلَى لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَهُوَ أَسْوَتُنَا وَفُذْوَتُنَا وَمُعَلِّمُنَا وَمُرْشِدُنَا بِنَصِّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٢١). فَلَقَدْ كَانَتْ هَجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ دَحْرًا لِلْفَسَادِ فِي الْعَقَائِدِ، وَالضَّلَالِ فِي الْأَفْكَارِ، كَمَا كَانَتْ فَتْحًا جَدِيدًا فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَنَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَالْهَجْرَةَ كُلَّهَا دُرُوسٌ وَعِبْرٌ. وَكَيْفَ لَا؟ وَلَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِي شَخْصِ الْمُصْطَفَى الْفُذْرَةَ الْحَيَّةَ الْكَامِلَةَ لِلْمَنْهَجِ التَّرْبَوِيِّ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ كُلِّهِ، فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ يَتَلَقَّى الْوَحْيَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِيَرْبِطَ الْأَرْضَ بِالسَّمَاءِ بِأَعْظَمِ رَبَاطٍ وَأَشْرَفِ صَلَاةٍ.

وَهُوَ رَجُلٌ السِّيَاسَةِ الْأَوَّلُ غَيْرَ مَجْرَى التَّارِيخِ فِي فِتْرَةٍ لَا تُسَاوِي فِي حِسَابِ الزَّمَنِ شَيْئًا. وَهُوَ رَجُلٌ حَرَبٍ يَضَعُ الْخُطْبَ، وَيَقُودُ الْجُيُوشَ كَقَائِدٍ مُتَخَصِّصٍ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ، فَكَانَ إِذَا صَمَتَتِ الْأَلْسِنَةُ وَبَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَقَفَ فِي الْمَيْدَانِ وَفَقَّةُ الْأَبْطَالِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». وَهُوَ أَبٌ وَرَوْحٌ وَرَبُّ أُسْرَةٍ كَبِيرَةٍ تَحْتَاجُ كَثِيرًا مِنَ النَّفَقَاتِ فَقَامَ بِهَذَا الدَّورِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ شَهَدَتِهِ الْأَرْضُ وَعَرَفَهُ التَّارِيخُ. وَهُوَ عَابِدٌ خَاشِعٌ خَاضِعٌ لِرَبِّهِ كَأَنَّهُ مَا خُلِقَ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ تَفَرَّغَ لَهَا، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى أَعْظَمِ دَعْوَةٍ أَخَذَتْ عَقْلَهُ وَفِكَرَهُ وَرُوحَهُ وَعَرَفَهُ وَدَمَهُ. كُلُّ هَذِهِ الْعِظَمَاتِ، كُلُّ هَذِهِ الطَّاقَاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ تَجَمَّعَتْ فِي شَخْصِيَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، أَفَلَا يَسْتَحِقُّ بَجْدَارَةً أَنْ يَكُونَ هُوَ الْفُذْوَةُ الطَّيِّبَةُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى؟

وَكَيفَ لَا؟ وَالْهَجْرَةَ حَدَّثَ تَارِيخِيٌّ عَظِيمٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَمُرَّ عَلَيْنَا مُرُورَ الْكِرَامِ، حَدَّثَ نَصَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَعْلَى بِهِ كَلِمَتَهُ، وَغَيَّرَ وَجْهَ الْكُونِ، وَقَامَتْ بِهِ دَوْلَةُ الْمُسْلِمِينَ وَسَقَطَتْ بِهِ عُرُوشُ الظَّالِمِينَ. حَدَّثَ هَجْرَةَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَلَقَدْ هَاجَرَ نَبِيُّنَا ﷺ مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي أَنْارَتْ وَاسْتَنَارَتْ بِقُدُومِهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ لَاقَى مِنَ الْأَذَى وَالضِّيْقِ وَالْبَلَاءِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي، وَقَفَدَ النَّصِيرَ الْعَزِيزَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقْرَبَائِهِ كَأَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ حِينَئِذٍ بِالصَّبْرِ وَالْهَجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ، فَقَالَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الْأَحْقَافِ: ٣٥). فَلَقَدْ تَأَمَّرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَرَّرُوا أَنْ يَفْتَكُوا بِهِ وَيَقْتُلُوهُ، لَكِنَّ اللَّهَ نَجَّاهُ وَحَمَاهُ وَأَيَّدَهُ وَنَصَرَهُ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩). وَهَذَا أَيْدَى اللَّهِ رَسُولَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فَمِنْهَا مَا حَصَلَ لِسِرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَاحَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ، فَنَجَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ أَدَى فُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ رَصَدَتْ جَائِزَةً لِمَنْ يَأْتِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَعَادَ سِرَاقَةُ قَائِلًا لِأَبِي جَهْلٍ:

أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا *** لِأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ
عَلِمْتُ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا *** رَسُولٌ بِيْرُهُانِ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ

وَمِنَ الْهَجْرَةِ كَانَتْ الْبِدَايَةَ وَنُفْطَةُ التَّحْوُلِ فِي حَيَاةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ انْتَقَلَتْ
الدَّعْوَةُ مِنْ دَوْرِ الْإِسْتِضْعَافِ وَالْإِضْطِهَادِ إِلَى دَوْرِ التَّمْكِينِ وَالْبِنَاءِ، وَمِنْ مَرْحَلَةِ الصَّبْرِ
عَلَى الْأَدَى إِلَى مَرْحَلَةِ إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسِ الْمُجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ. وَبِهَجْرَتِهِ ﷺ تَحَقَّقَتْ
الْوَحْدَةُ، وَظَهَرَ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْأُخُوَّةِ، وَتَحَوَّلَتْ يَثْرِبُ
إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ الَّتِي أَضَاءَتْ دُرُوبَ التَّارِيخِ بِنُورِ الرِّسَالَةِ وَالْهُدَى.
هَاجَرْتَ يَا خَيْرَ الْوَرَى مُتَوَكِّلاً ** وَتَرَكْتَ مَكَّةَ وَالْفُؤَادَ مُعَلَّقًا
حَتَّى أَتَيْتَ بِيْدِينَ رَبِّكَ مُعَلِّناً ** فَأَنْقَادَ لِلْحَقِّ الْمُنِيرِ الْمَشْرِقِ
وَبَنَيْتَ صَرْحَ الدِّينِ بَعْدَ شِدَادَةٍ ** وَعَلَى الْيَقِينِ أَسَسْتَ مَا يَتَحَقَّقُ
فَصَارَ مِنْ يَثْرِبِ الْهُدَى مُتَأَلِّقًا ** وَغَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا تَضِيءُ وَتُشْرِقُ
إِنَّ الْهَجْرَةَ الْكُبْرَى بِنَاءٌ رَاسِخٌ ** فِيهَا يَرَى التَّارِيخُ مَجْدًا يُطْلَقُ
مَنْ سَارَ فِي دَرْبِ النَّبِيِّ مُهَاجِرًا ** عَاشَ الْيَقِينُ وَفِي الْحَيَاةِ يُوقَفُ

❖ ثَانِيًا: الْهَجْرَةُ مَعْنَى حَيٍّ مُتَجَدِّدًا.

أَيُّهَا السَّادَةُ: أَنَّ الْهَجْرَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَدَثٍ تَارِيخِيٍّ فِي الْإِسْلَامِ فَقَطْ، بَلْ هِيَ دَرَسٌ
وَدَعْوَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛ لِيَهَاجِرُوا مِنَ الرَّذَائِلِ وَالْمَعَاصِي إِلَى الْفَضَائِلِ وَالطَّاعَاتِ.
فَالْهَجْرَةُ انْتَهَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ، فَلَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ
ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
« لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ: « لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ،
وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَأَنْفِرُوا ». وَفِيهِ بَيَانٌ لَانْتِهَاءِ الْهَجْرَةِ الْمَكَانِيَّةِ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا، وَلَكِنْ
بَقِيَتْ هَجْرَةُ مُتَجَدِّدَةً عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ، وَهِيَ هَجْرَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي
إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْفَارِ، وَمِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمِنَ الْعَقْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ وَالْيَقِظَةِ، وَمِنَ
الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ هَجْرَةٌ مِنْ تَخَلَّى عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا
وَزُخْرُفِهَا إِلَى حُبِّ اللَّهِ وَرِضَاةِ، وَمِنَ الْإِنْشِغَالِ بِالْفَانِي إِلَى الْإِنْشِغَالِ بِالْبَاقِي، وَمِنَ
طَلَبِ الشَّهَوَاتِ إِلَى طَلَبِ الْجَنَاتِ وَالنَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهِيَ هَجْرَةٌ دَائِمَةٌ لَا تَنْقَطِعُ حَتَّى
يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَكَلَّمَا جَدَّدَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ وَصَدَّقَ فِي سُلُوكِهِ، كَانَ فِي حَقِيقَةِ الْهَجْرَةِ
إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ وَأَسْبَقَ.

فَالْمُهَاجِرُ الْحَقِيقِيُّ: مَنْ هَجَرَ أَصْحَابَ السُّوءِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٤٠]، فَفِيهِ تَرْكُ مَجَالِسِ السُّوءِ وَمُجَانِبَتُهَا.
وَالْمُهَاجِرُ الْحَقِيقِيُّ: مَنْ هَجَرَ مَكَانَ السُّوءِ وَأَرْضَ الْمَعْصِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا
أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النِّسَاءِ: ٩٧] وَقَالَ رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ صِفَاتِ
عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمْ لَا يَحْضُرُونَ الْبَاطِلَ كَمَجَالِسِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، وَلَا يُخْبِرُونَ

بِالْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ. وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهَجْرَةِ إِلَيَّ» [رواه أحمد].

وَالْمُهَاجِرُ الْحَقِيقِيُّ: مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَرْضِ الْكُفْرِ إِلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي ((الصَّحِيحَيْنِ)) فِي الَّذِي قَتَلَ مِنْهُ نَفْسًا: قَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ مَعَ أَنَّهُ عَمِلَ أَعْمَالًا صَالِحَةً تَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُ لِلْهَجْرَةِ مِنْ أَرْضِهِ - وَهِيَ أَرْضُ سُوءٍ - وَذَهَبَ مُهَاجِرًا إِلَى الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ فَفُضِّصَ فِي الطَّرِيقِ. هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَقَدْ ذَهَبَ مُهَاجِرًا إِلَى رَبِّهِ)) وَهَذَا هُوَ صُهَيْبُ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَرَبَ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةَ فِي التَّضَجِيَةِ وَالْفِدَاءِ فِي سَبِيلِ الْهَجْرَةِ بِدِينِهِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أَرَادَ الْهَجْرَةَ قَالَ لَهُ كُفَّارُ فَرِيْسٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فَكُنْتُ مَالِكًا عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ؟ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَتَخْلَوْنَ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «رَبِّحْ صُهَيْبٌ، رَبِّحْ صُهَيْبٌ.» وَنَزَلَ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

وَالْمُهَاجِرُ الْحَقِيقِيُّ: مَنْ هَاجَرَ الْمَعْصِيَةَ إِلَى الطَّاعَةِ، فَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ يَهْجُرَ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ إِلَى مَا يُرْضِيهِ، يَهْجُرُ الْكَذِبَ إِلَى الصِّدْقِ، وَالغِشَّ إِلَى الْأَمَانَةِ، وَالتَّقْصِيرَ إِلَى الْإِحْسَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الدَّارِيَاتِ: ٥٠]، وَهِيَ أَعْمٌ دَعْوَةٌ لِلْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَاهْرَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِلَى رَحْمَتِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَاتَّبَاعِ أَمْرِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ». وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدَيْهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ». وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالدُّنُوبَ» وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ ﷺ: أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ».

فَالْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَتْرَكَ كُلَّ مَا يُبْعِدُكَ عَنِ اللَّهِ إِلَى كُلِّ مَا يُقَرِّبُكَ مِنَ اللَّهِ، وَالْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ انْتِقَالَ جَسَدٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، بَلْ هِيَ انْتِقَالَ قَلْبٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَالْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ شَهْوَاتِكَ، وَأَعْظَمَ عِنْدَكَ مِنْ هَوَى نَفْسِكَ؛ أَنْ تَهْجُرَ الذَّنْبَ إِلَى التَّوْبَةِ، وَتَهْجُرَ الْقَسْوَةَ إِلَى الرَّحْمَةِ، وَتَهْجُرَ الرِّيَاءَ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَتَهْجُرَ التَّكْبُرَ إِلَى الْإِنْكَسَارِ، وَتَهْجُرَ الْخُمُولَ وَالْكَسَلَ إِلَى النِّشَاطِ وَالْعَمَلِ، وَتَهْجُرَ الْإِعْتِمَادَ عَلَى نَفْسِكَ إِلَى الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ، وَتَهْجُرَ الْجَهْلَ لِتَسْتَضِيءَ بِنُورِ الْعِلْمِ. ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الدَّارِيَاتِ: ٥٠] وَإِنْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ الْأَمْرَ الَّذِي يَهْرُبُ مِنْهُ فَإِنَّهُ يَأْمَنُ خَوْفَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشُّعْرَاءِ: ٢١] **وَكَيْفَ لَا؟** وَإِنَّ الْمَعَاصِيَ وَالدُّنُوبَ هِيَ سِرُّ هَذِهِ الْبَلَايَا الْمُتَتَابِعَةِ، وَسَبَبُ الْكَوَارِثِ الْمُتَعاقِبَةِ، وَالْأَدْوَاءِ الْمُسْتَعصِيَةِ الَّتِي تَعْصِفُ بِالعَالَمِ كُلِّ يَوْمٍ، وَتَتَخَطَّفُ النَّاسَ وَأَمْوَالَهُمْ مِنْ حَوْلِنَا وَمِنْ بَيْنِنَا. يَا هَاتِكَ الْحُرْمَاتِ لَا تَفْعَلْ، يَا وَاقِعًا فِي الْفَوَاحِشِ أَمَا تَسْتَحْيِي وَتَحْجَلُ؟! يَا مُبَارِرًا مَوْلَاكَ بِالْخَطَايَا تَمَهَّلْ، فَالكَلَامُ مَكْتُوبٌ، وَالقَوْلُ مَحْسُوبٌ، ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِأَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

وَكَيْفَ لَا؟ وَإِنَّ فِي الْقُلُوبِ شَعْنًا لَا يَلْمُهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ، وَفِيهَا وَحْشَةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا
الْأَنْسُ بِاللَّهِ، وَفِيهَا حُزْنٌ لَا يُدْهِبُهُ إِلَّا الْاجْتِمَاعُ عَلَى اللَّهِ؛ إِنَّهَا حَلَاوَةٌ الْإِيمَانِ.
يَا نَائِمَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ ***** إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَّ أَسْحَارًا
جَنَائِزَ أَصْحَابِهَا مِنَ السَّبَابِ الْأَصْحَاءِ، وَلَيْسُوا مِنَ الشُّيُوخِ وَلَا مِنَ السُّقْمَاءِ.
الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفْنَ ***** وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا.

فَهَيَّا جَدِّ التَّوْبَةِ وَالْأُوبَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَيَفْرَحُ بِتَوْبَتِكَ مَهْمَا عَظَمَ ذَنْبُكَ، وَهُوَ الْغَنِيُّ
عَنْكَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ
كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ
مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ بِظِلِّهَا، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بِهِ يَرَى رَاحِلَتَهُ قَائِمَةً عِنْدَ رَأْسِهِ،
عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ فَرَحَتِهِ الْعَارِمَةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا
رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) فَمَا مِنْ لَيْلَةٍ تَمُرُّ عَلَيْنَا إِلَّا وَرَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ يَنْتَزِلُ إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا تَنْزَلًا يُلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ؛ لِأَنَّهُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
[الشُّورَى: ١١]، يَنْتَزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَمْضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ:
أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ. وَاسْمَعِ إِلَى اللَّهِ
وَهُوَ يُنَادِيكَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ
أَنْسٍ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا
ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَعْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ!
لَوْ أَتَيْتَنِي بِفُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِفُرَابِهَا مَغْفِرَةً)
وَإِلَّا مَا مِنْ يَوْمٍ يَمُرُّ وَمَا مِنْ لَيْلَةٍ تَمُرُّ إِلَّا وَرَبُّكَ يَنْتَزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا تَنْزَلًا يُلِيقُ
بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ:
(يَنْتَزِلُ رَبُّكَ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي
فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ) فَأَعُدْ
إِلَيْهِ، لِيَجِدَكَ رَبُّكَ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، مُتَضَرِّعًا مُتَذَلِّلًا عَلَى أَعْتَابِهِ، تُنَاجِيهِ وَتَرْفَعُ إِلَيْهِ
أَكْفَ الضَّرَاعَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْرَحُ بِتَوْبَتِكَ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَالَمِينَ، لَا تَنْفَعُهُ
الطَّاعَةُ وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ،
وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

يَا نَفْسُ تَوْبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ ***** وَاعْصِي الْهَوَى فَالْهَوَى مَا زَالَ فَتَانًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَيِّتٌ نُشِيعُهُ ***** نُحْيِي بِمُضَرَعِهِ أَثَارَ مَوْتَانَا

يَا نَفْسُ مَا لِي وَلِلْأَمْوَالِ أَجْمَعِهَا ***** خَلْفِي وَأَخْرُجُ مِنْ دُنْيَايَ غُرِيَانَا
هَلُمُّوا عِبَادَ اللَّهِ لِهَجْرِ بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي تُسْخِطُ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ: مِنْهَا: أَلْفَاظُ الْكُفْرِ الَّتِي
تَفَشَّتْ فِي الْمُجْتَمَعِ، هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُحْبِطُ الْعَمَلَ، وَتُخْرِجُ الْعَبْدَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ،
وَتُدْخِلُهُ دَائِرَةَ الرَّدَّةِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَتَفْسُخُ عَقْدِ الزَّوْاجِ. وَمِنْهَا الرَّبَا الَّذِي تَفَشَّى
فِي الْمُجْتَمَعِ، هَذَا الرَّبَا الَّذِي يَسْتَوْجِبُ الْحَرْبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدَرُوا مَا بَقِيَ
مِنَ الرَّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ). وَيَسْتَوْجِبُ
اللُّعْنَةَ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤَكِّلِ وَالْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ وَالْكَافِلِ.

وَمِنْهَا: إِبْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي تَفَشَّى فِي الْمُجْتَمَعِ، الَّذِي يُحْمَلُ الْعَبْدَ الْإِثْمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُدَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا.

قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ». وَمِنْهَا: الْغَيْبَةُ الَّتِي تَفَشَّتْ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَالَّتِي كَانَتْ سَبَبًا لِتَمْزِيقِ الْأُمَّةِ، وَالَّتِي حَدَرْنَا مِنْهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحْيٍ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». وَمِنْهَا: تَتَبُّعُ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي تَفَشَّى فِي الْمُجْتَمَعِ، وَالَّذِي أَوْقَعَ الضَّغِينَةَ فِي النُّفُوسِ، وَقَطَعَ أَوَاصِرَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالَّذِي حَدَرْنَا مِنْهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَمِنْهَا: الْمِنَّةُ الَّتِي تُحْبِطُ الْعَمَلَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾ وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمَنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ».

وَمِنْهَا: النَّمِيمَةُ الَّتِي تُفْسِدُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾. وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ». وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَجِبُ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرُ».

هَكَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْهَجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ بِانْتِهَاءِ زَمَانِهَا التَّارِيخِيِّ، بَلْ تَبْقَى مَعْنَى حَيًّا يَسْكُنُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، يُجَدِّدُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ، حِينَ يَقْبَلُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتْرَكُونَ مَا يُبْعِدُهُمْ عَنِ طَاعَتِهِ، وَيَسِيرُونَ إِلَى اللَّهِ سِيرَ الصَّادِقِينَ الرَّاعِبِينَ فِي رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ.

هَاجِرٌ إِلَى اللَّهِ فِي صِدْقٍ وَمُعْتَصِمٌ **** وَدَعِ سِوَاهُ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَسْلَمْ
وَأَتْرَكَ ذُنُوبًا كَسَجِنٍ فِي مَسَارِكِهِ ***** وَأَصْعَدَ إِلَى النُّورِ فِي تَوْبٍ وَفِي نَدَمٍ
إِنَّ الْحَيَاةَ ظِلَالٌ لَيْسَ يَتَّبِعُهَا ***** إِلَّا الَّذِي عَاشَ فِي تَسْلِيمِهِ وَحِكْمِهِ
فَاجْعَلْ هَجْرَتَكَ الْكُبْرَى إِلَى رَبِّكَ **** فَبِهَا الْهُدَى وَفِيهَا خَيْرٌ مُخْتَمٍ
وَسِرْ إِلَى اللَّهِ سِيرًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ **** حَتَّى تَصِلَ لِمَقَامِ الْقُرْبِ وَالنِّعَمِ
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ. الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَمْدَ إِلَّا لَهُ، وَبِاسْمِ اللَّهِ، وَلَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

❖ ثَالِثًا: الْحَدَرُ الْحَدَرُ مِنْ غَشِّ الْأَمْتِحَانَاتِ، عِبَادَ اللَّهِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ: مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ هَجْرُهَا ((قَضِيَّةُ الْغِشِّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ))، الَّتِي أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا حَقٌّ مُكْتَسَبٌ لَهُمْ وَلَاوْلَادِهِمْ، ظَنًّا مِنْهُمْ الْفَلَاحَ وَالنَّجَاحَ وَالْحُصُولَ عَلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَهَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ؛ فَالْغِشُّ جُرْمٌ خَطِيرٌ فِي حَقِّ الْمُجْتَمَعِ، وَفِي حَقِّ الْأُمَّةِ بِأَسْرَهَا، وَالْغِشُّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ خِزْيٌ وَعَارٌ وَهَلَاكٌ وَدَمَارٌ. **وَكَيْفَ لَا؟** وَهُوَ يَفْتَحُ بَابَ الظُّلْمِ، وَيَهْدِمُ مِيزَانَ الْعَدْلِ، وَيُعْطِي غَيْرَ الْمُسْتَحِقِّ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، فَيَضِيعُ بِذَلِكَ جَهْدُ الْمُجِدِّينَ، وَتُهْدَرُ كِفَاةُ الْمُجْتَهِدِينَ، وَتُصَانُ الدَّرَجَاتُ لِغَيْرِ أَهْلِهَا، وَفِي ذَلِكَ فَسَادٌ عَظِيمٌ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمَانَتِهِ. وَإِنَّ الْغِشَّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ فِيهِ الْخَاقُ لِلْأَدَى بِالْغَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنًا وَبُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. **وَكَيْفَ لَا؟** وَالْغِشُّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ ضِيَاعٌ لِحُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَإِضْرَارٌ بِالْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ أَجْيَالًا غَيْرَ مُؤَهَّلَةً فِي مَوَاقِعِ الْمَسْئُورِيَّةِ، فَيُخْتَلُ بِهِ مِيزَانُ الْكِفَاةِ، وَتُبْنَى بِهِ قَرَارَاتٌ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ وَلَا أَمَانَةٍ.

وَكَيْفَ لَا؟ وَالْكَثِيرُ مِنَ الطُّلَّابِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَعْتَقِدُ أَنَّ الْغِشَّ ذِكَاءٌ وَمَهَارَةٌ وَحَقٌّ وَرَفْعَةٌ وَتَقَدُّمٌ وَتَفُوقٌ وَفِي الْحَقِيقَةِ الْغِشُّ دَاءٌ اجْتِمَاعِيٌّ خَطِيرٌ، وَوَبَاءٌ خَلْقِيٌّ كَبِيرٌ، مَا فَشَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا كَانَ نَذِيرًا لِهَلَاكِهَا، وَمَا دَبَّ فِي أَسْرَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبًا لِفَنَائِهَا، فَهُوَ مَصْدَرُ كُلِّ عَدَاءٍ وَيَنْبُوعُ كُلِّ شَرٍّ وَتَعَاسَةٍ. وَالْغِشُّ فِي أَيِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ مِنْ أَكْبَرِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَعْظَمِ الزَّلَّاتِ، وَهُوَ بِلَا أَدْنَى شَكِّ جَرِيمَةٌ شَرِّعِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ وَقَانُونِيَّةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ، وَأَخْطَرُ أَنْوَاعِ الْغِشِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الْغِشُّ فِي الْإِمْتِحَانَاتِ، فَهُوَ أَشَدُّهَا حُرْمَةً، وَأَعْمَقُهَا أَثْرًا، وَأَكْثَرُهَا خَطَرًا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ وَحَاضِرِهَا، فَهُوَ يُقَدِّمُ مَنْ حَقَّهُ النَّاحِرُ، وَيُؤَخِّرُ مَنْ حَقَّهُ التَّقَدُّمُ، وَيُسَوِّي بَيْنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَحَسْبُكَ بِهَذِهِ دَمَارًا لِلْأُمَّمِ، وَتَأْخِيرًا لِلدُّوَلِ؛ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فَالْغِشُّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ فَسَلٌ مَا بَعْدَهُ فَسَلٌ وَإِخْفَاقٌ مَا بَعْدَهُ إِخْفَاقٌ، الْغِشُّ فِي الْإِمْتِحَانِ اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُتَفَوِّقِينَ نَجَاحٌ مَزْعُومٌ بِلَا فَائِدَةٍ مِنْ وَرَائِهِ، الْغِشُّ فِي الْإِمْتِحَانَاتِ مِنْ أَكْثَرِ السُّلُوكِيَّاتِ السُّلْبِيَّةِ فِي مَنْظُومَةِ التَّعْلِيمِ حَيْثُ يُؤَسِّسُ لِمَنْظُومَةِ فِكْرِيَّةٍ مُشَوَّهَةٍ تُقَامُ عَلَى الْخِدَاعِ وَضِيَاعِ الْأَمَانَةِ، مَنْظُومَةٌ تَخْرُجُ أَجْيَالًا لَا تَفْهَمُ شَيْئًا وَلَا تَفْقَهُمْ عِلْمًا وَأَطْبَاءَ يُدْمِرُونَ صِحَّةَ النَّاسِ بِلَا عِلْمٍ وَمُهَنْدِسِينَ فَسَلَةً وَأَسَاتِذَةً بِلَا عِلْمٍ وَلَا وَعْيٍ، فَالْغِشُّ فِي الْأَمْتِحَانَاتِ يُعَوِّدُ الْمُجْتَمَعِ عَلَى قَبُولِ الْكُذْبِ وَالتَّدْلِيلِ وَتَرْيِينِ الْحَقَائِقِ الزَّرَائِفَةِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَدَهُّورِ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ وَالْمَبَادِي فِي الْمُجْتَمَعَاتِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. الْغِشُّ وَمَا أَدْرَاكَ مِنَ الْغِشِّ؟ الْغِشُّ مِنْ أَحْطَرِ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجَهْلِ وَضِيَاعِ الْعِلْمِ وَيُسَاوِي بَيْنَ الْمُجْتَهِدِ وَالْكَسُولِ وَبَيْنَ مَنْ تَعَبَ وَتَعَلَّمَ وَبَيْنَ مَنْ لَعِبَ وَجَهَلَ إِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَلَا يَكْفِي الْعَاشِ تَهْدِيدًا تَبَرُّوُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ؟ وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُ اللَّهُ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ الدِّينُ، وَالسَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ لِهَذَا هُوَ ضَعْفُ الْوَارِعِ الدِّينِيِّ، وَرَفَّةُ الْإِيمَانِ، وَقَلَّةُ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى أَوْ انْعِدَامِهَا،

وَإِنِّارُ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ عَلَى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى دَنَاءَةِ النَّفْسِ وَخُبْنِهَا، فَلَا يَفْعَلُهُ إِلَّا كُلُّ دَنِيٍّ نَفْسٍ هَانَتْ عَلَيْهِ فَأُورِدَهَا مَوْرِدَ الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ.

الْعِشُّ وَمَا أَدْرَاكَ مِنَ الْعِشِّ؟ الْعِشُّ فِي الْإِمْتِحَانِ يَتَعَارِضُ مَعَ حِفْظِ الْأَمَانَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فالعِشُّ خِيَانَةٌ لِلْأَمَانَاتِ، وَهَذِهِ عَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: "أَيُّهُ الْمُنَافِقُ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ" فالعِشُّ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَعَظَائِمِ الْمَعَاصِي، وَفُضَائِحِ الْخَطَايَا، يُدُلُّ عَلَى خُبْنِ النَّفْسِ، وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ وَسَوَادِ الْفُؤَادِ، وَقَلَّةِ الدِّينِ.

لِذَا يَجِبُ تَوْعِيَةُ الطَّلَبَةِ مِنْدَ الصَّغَرِ عَلَى تَحْرِيمِ الْعِشِّ، وَأَنَّ مَنْ عَشَّنَا لَيْسَ مِنَّا، وَأَنَّهُ بَابٌ مِنَ الْكُذْبِ الَّذِي يُجْلِبُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ، وَأَنَّ الْعِشَّ يَا عِبَادَ اللَّهِ يَجْمَعُ أَسْوَأَ الصِّفَاتِ، وَأَقْبَحَ الْمَعَاصِي، فَهُوَ يَجْمَعُ الْكُذْبَ وَالْبُهْتَانَ وَالزُّورَ، وَالْخَدَاعَ، وَالْمَكْرَ، وَالِاخْتِيَالَ، وَالنَّصَبَ، وَخِيَانَةَ الْأُمَّةِ، وَالتَّعْرِيرَ، وَأَكْلَ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، وَعَدَمَ الرِّضَا بِقَدْرِ اللَّهِ، وَمَا قَسَمَ مِنَ الرِّزْقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ دَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَسَيِّئِ الْخِصَالِ، فَهُوَ ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؛ أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهِ، وَحَفِظْنَا مِنْ أَرْبَابِهِ.

فَمَنْ لَمْ يَدُقْ مَرَّ التَّعْلَمِ سَاعَةً *** تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ حَالَ شَبَابِهِ *** فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ

فَلْيَتَّقِ اللَّهَ كُلُّ طَالِبٍ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَا يُبْنَى عَلَى الْعِشِّ لَا يُبَارَكُ فِيهِ، وَأَنَّ الْبِرْكَاتِ فِي الصِّدْقِ وَالِاجْتِهَادِ، وَأَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ.

حَفِظَ اللَّهُ مِصْرَ مَنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَشَرَّ الْفَاسِدِينَ، وَحَقْدَ الْحَاقِدِينَ، وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَاعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَإِرْجَافِ الْمُرْجِفِينَ، وَخِيَانَةَ الْخَائِنِينَ

كَتَبَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ د/ مُحَمَّدٌ حِرْزُ إِمَامٍ بِوَرَارَةِ الْأَوْقَافِ